Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة
أبو بكر بلقايد

جامعة تلمسان

قسم العلوم الاجتماعية "شعبة الأنثروبولوجيا"

سنة الثانية انتربولوجيا

محاضرات مقياس

انتربولوجية اشكال التعبير الشعبي

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

2020

المحاضرة الثامنة

وسائل وطرق درء العين

عادات ومعتقدات

تجري ممارسات وطقوس وعادات في اغلب الثقافات وهي تعبر عن اعتقادات دفينة والغرض منها الحماية و الوقاية و العلاج (درء العين) ولعل من اهم هذه الوسائل:

حرق البخور:

" لقد كان لحرق البخور في أول الأمر غرضا تطهيريا، لأن البخور يطهر ويزين، كما يحرر الشخص من القوى الشريرة. واعتبر البخور نفسه مظهرا خارقا للطبيعة، واصطلح على تسميته" عرق الإله" الذي سقط على الأرض"([1]).

وحرق البخور هي تفاعل النار مع البخور، وهي التي تكون لها القوة الفعالة والقدرة الكامنة لصرف الأذى وطرد الشياطين. فقداستها نابعة من خطورتها، لذلك يقال لها " العافية " تفاؤلا بها ودرءا لخطرها " لقد ارتبط معناها الديني بتجربة البشر، مع قوتها التدميرية، ومن ثم قوتها النافعة. كما اعتبرت الشعلة رمزا للتطهير والطهارة."([2])

ومن جملة الاعتقادات السائدة في مجتمع البحث (منطقة تلمسان) قبل الزفاف بأيام قليلة، أو في هذا اليوم نفسه، اعتادت الأم أن تقوم بحرق البخور، فيعبق رائحته و يتصاعد دخانه، و ذلك لدرك العين الشريرة، و لإبعاد الشياطين عن العريس و العروس ليلة العرس.

وظاهرة حرق البخور ليلة الزفاف غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب، بل موجودة أيضا في المجتمعات العربية الأخرى كالعراق مثلا " حيث تحاط العروس بمثل هذه التبريكات

([1]) ما نفرد لوركر– المرجع السابق– ص 117.

([2]) المرجع نفسه– ص231.

و التي تبلغ ذروتها في ساعات الزفاف، فيعيق البخور و التي كانت و ما زالت ترافقها الأدعية والتعاويذ... لتبعد الشر و تجلب البركة، و تحميها من أعين الحاسدين"([1]).

كما أن هذه الظاهرة موجودة أيضا في المجتمع اليمني،" فأخذ مجمرة البخور والمرور بها مع دخانها المتصاعد إلى كل جدران وأركان الغرف يصرف الشيطان"([2])

ونستنتج من كل ما سبق أن استعمال النار وحرق البخور لها جذورها الدفنية ومعناها العميق في النفس البشرية، وقد تكون من رسوبات العادات القديمة اليهودية ويقول حسين سالم: " لا شك أنها موروثات من طقوس دينية قديمة منذ ما قبل الإسلام ولا نشك أن تكون طقوسا دينية يهودية لانتشار اليهودية في الجنوب العربي منذ التتابعة الحميرية"([3]).

وترى ثريا التيجاني نفس الرأي فتقول: " إن حرق البخور عادة مترسبة في نفسيات الأفراد منذ عصور ما قبل الإسلام، لأن الوثنيين كانوا يحرقون البخور لآلهتهم، ومعبوداتهم تذرعا لها في تحقيق مقاصدهم، وكذلك طلبا لرضاها، وبعد مجيء الإسلام بقيت هذه العادة سارية المفعول وبقي المسلمون يحرقون البخور في المساجد والأضرحة وفي أماكن التبرك قصد تعطيرها تقربا من الله والأنبياء الصالحين وإرضاء للجن"([4]).

ونخلص من كل ما سبق أن عادة " حرق البخور" ممارسة شعبية قديمة جدا، منتشرة في كل مكان وزمان، وهي عبارة عن طقس تطهيري ووقائي غرضه حماية الانسان من الشرور والأذى، ولازال مستعملا لحد الآن عند الحضر و عند البدو.

ظاهرة رمي الماء:

([1]) المرجع السابق– ص 75.

([2]) حسين سالم – المرجع السابق– ص 279.

([3]) المرجع السابق– ص 279.

([4]) المرجع السابق– ص50.

الماء مادة الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي: فإن السموات خلقت من بخار، و الأرض من زبده، و قد جعل الله منه كل شيء حيا () طبقا لقوله تعالى: " و جعلنا من الماء كل شيء حي" الأنبياء: 30.

والماء رمز الطهارة في الإسلام، وما يؤكد هذا الغسولات الشعائرية التي يجب على المؤمنين إجرائها قبل كل واحدة من الصلوات الخمس المفروضة في اليوم ويقول تعالى: " ينزل من السماء ماءً ليطهركم به" الأنفال:11.

ونظرا لقدسية الماء، ولكونه رمزا للطهارة والنظافة و استمرار الحياة يحرص أهالي منطقة الجزائر مثلا على ممارسة بعض العادات التي تتعلق بالماء ليلة الزفاف او عند السفر او عند اجتياز امتحان.

وحسب اعتقاد أهالي منطقة الجزائر مثلا أن استعمال الماء هنا لا للنظافة والطهارة فقط ولكن لأنه أيضا رمز لتخطي السحر وجلب الحظ السعيد. كما أن استعماله أيضا – في ليلة الزفاف مثلا– إشارة للإخصاب والتوفيق في الحياة لأن الماء يمثل الخير والبركة والحياة كلها في الاعتقاد السائد.

ونفس الاعتقاد يجري في المجتمع العراقي" عندما تصل العروس إلى بيت العريس تجد قدرا أو إناءا كبيرا مليء بالماء فترفسه برجلها، وتدخل الدار حيث عد لها مكان الصدارة، يحيط بها عدد كبير من المحتفلات... وسكب الماء من قبل الزوجة على عتبة باب البيت يعني أنها أتت والبركة في أعقابها، و هي لذلك تكرر العملية بشكل آخر في مساء اليوم السابع لزواجها حيث تذهب مع نساء القرية إلى مصدر الماء نهرا كان أو بئرا، أو عينا لتملأ جرتها، و تأتي بها لتكسب ماءها على عتبة البيت مؤكدة بذلك نفس المعتقد"([1]).

([1]) لطفي الخوري– المرجع السابق– ص 186.

كما نجد هذه الممارسة في فلسطين أيضا " فعند دخول العروس إلى بيت زوجها، يجب صب الماء أمام العروس وخلفها، حتى يدخل الشرف والثراء معها"([1]).

وقد يرافق " رمي الماء" العريس أيضا، فقبل تخطيه عتبة بيته تضع له أمه إناءا من الماء في مدخل البيت يضربه برجله، فيتدفق الماء مؤكدين بذلك نفس المعتقد الخاص بالعروس.

و نفس الممارسة، تقام في العراق، إذ يسكب العريس ماء إبريق، وضع له عند مدخل المخدع، فالماء دائما يرمز في القرية العراقية إلى الخير، و التوفيق في كل مجالات حياة القروي ([2]).

للماء مكانة وقدسية في المخيال الشعبي، في كل مكان وزمان. " فهو يطهر، ذلك هو أمر معروف عالميا، ففي كافة الثقافات تقريبا يستخدم لتطهيرات طقوسيه"([3]).

" وفي مصر على الأقل في العهد المتأخر، كان الكهنة يغتسلون في بحيرة مقدسة قبل الفجر، مطهرين أجسادهم هكذا، ثم يجرون دورة المعبد مهرقين الماء، ومشعلين البخور."([4])

" وعند حفلة الزواج، في الهند البرهمانية يعيد الزوج إراقة الماء في يدي الزوجة، هذا الماء الذي يكون أحد البراهمة قد صبه في يديه."([5])

ونستنتج من كل ما سبق، أن تقديس الماء واستعماله في عدة مناسبات، و أشهرها مناسبة الزفاف له رموزه و دلالاته و معانيه العميقة منذ أقدم العصور، فمن خلال خبراتهم و تجاربهم في الحياة، و جدوا أن له مفعولا عجيبا من شأنه أن يطهر و أن يزرع الخير و البركة، و يساعد على الإخصاب، و يحمى العروسين من الشرور (السحر– الشياطين).

([1]) نمر سرحان– المرجع السابق– ص 232.

([2]) لطفي الخوري– المرجع السابق– ص 188.

([3]) فيليب سيرنج– الرموز في الفن– الأديان– الحياة– تر– عبد الهادي عباس– الناشر دار دمشق ط1– 1992– ص 353.

([4]) المرجع نفسه– ص 353.

([5]) المرجع نفسه– ص 355.

التمائم و الحروز:

توارث الإنسان بعض القضايا التي قام بتجربتها فاعتقد بها وأحبها، لاعتقاده بخيرها، وفائدتها له في عمله وحياته ومن هذه القضايا: وقاية النفس و درء الحسد عنها بالتمائم و الحروز و قبل أن نشرع في الحديث عنهما لابد من تعريفهما.

" التميمة": هي خرقة أو خيط يوضع على اليد أو الخصر، وفيها تميمات أو قطع رصاص يعتقد أنها تقي حاملها من الشر أو السحر أو الحسد "

" والحرز:هو ورقة تكتب فيها أدعية لنفس الغرض([1]) و يغلق الحرز بالجلد، و لاتزيد مساحته عن 36 سم مربعا يتضمن أوراقا مكتوبة بخط اليد تحتوي على طلاسم و أدعية و رموز لا يفهمهما إلا كاتبها الذي تخصص بهذا النوع([2]).

و لا يكون للحجاب مفعولا إلا إذا كتبه شخص من أهل الله، و أهل الله قوم من الصالحين منحوا أحفادهم القدرة على كتابة الحجابات الشافية، و تعاطي الطب الشعبي المبني على قوة العقيدة لا على المواد و الأعشاب كما هو الحال عند الطبيب الشعبي المحترف([3]).

" و قد يوضع للحرز خيط ليعلق في الرقبة سواء أكان ذكرا أم أنثى، فالصغير من الناس لا بأس به إذا علقها برقبته، و جعلها ظاهرة مدلاة فوق صدره، أما الكبير فيأخذه الخجل نوعا فيخفيها تحت ملابسه، و أن يربطها بزنده. و فائدتها كما في زعمهم أنها تقي صاحبها من الشرور و الأمراض، و تحجب عنه أعين الحساد."([4])

و جرت العادة في تلمسان، و خاصة في المناطق الريفية، قبل أن تزف العروس، تذهب أمها عند " الطلبة " أو " المشعوذين" لتكتب لها " حرزا" أو " كتابا" ليقيها من أعين الحاسدين،

([1]) حسين سالم– المرجع السابق– ص 281.

([2]) أيوب حسين أيوب– المرجع السابق– ص 232.

([3]) لطفي الخوري – المرجع السابق– ص 212.

([4]) أيوب حسن أيوب – المرجع السابق– ص 232.

و ليفك عنها القلق و الخوف ليلة دخلتها، و ليبعد عنها الشر و يصرف عنها الأذى " لأن المرأة أكثر عرضة للشر، خاصة إذا كانت عروسا"([1]).

كما يحمل المترشح أيضا ليلة الامتحان حروز وتمائم ذات أشكال متعددة و ألوان مختلفة، و الغرض منها جلب الخير ودفع الشرو من هذه

الاشكال:

العين (الخرزة الزرقاء): ارتداء الخرزة الزرقاء التي تكون على شكل عين من التمائم التي كان يستخدمها المصريون القدماء، وكانت تصنع أيضا من الأحجار الكريمة كالذهب والعقيق، والفيروز لكي تصرف عين الحاسد([2]).

الخامسة:

لها مدلول جمالي، ومدلول سحري وليحمي الانسان نفسه من العين، وكان يستعملها الفراعنة أيضا قديما لإبعاد الشر عنهم، وتقول الدكتورة فاتن شريف: " عُثِرَ في مقابر الفراعنة على بعض الصور من الرقي والتعاويذ والتمائم كعين حورس، والكف والخرزة الزرقاء وغيرها لحمايتهم من الارواح والعين الشريرة في حياتهم وبعد موتهم، وهي لازالت تستخدم في العصر الحالي لدرء الحسد " ([3]).

"

وإذا بحثنا عن أصل ونشأة هذه العقائد والديانات السحرية " لا شك أنها ظهرت في معظمها أثناء الباليوليت، إلا أن ممارستها كانت تزداد نشاطا كلما اتجهنا نحو النيوليت، وقد شهد

([1]) عبد الملك مرتاض– مدخل إلى نظرية الثقافة الشعبية أعمال الملتقى الدولي حول الشفاهيات الشعبية الإفريقية– الجزائر – ج2– طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية– الجزائر– 1992– ص51.

([2]) فاتن محمد الشريف– المرجع السابق– ص 49.

([3]) فاتن محمد شريف–السحر و الحسد في المجتمعات الريفية – ص 54.

عصر الميزوليت نشاطا واسعا بسبب بدء استقرار الإنسان في المستوطنات والقرى، وحاجته للسيطرة " التدريجية " على عوامل الطبيعة عن طريق العلم الأول الذي هو السحر "([1]).

ومن العقائد السحرية الأساسية الفتيشية وهي تعني الاعتقاد بقوة الأشياء، وأن التمائم و الحرز والأحجار كانت مادتها، وكان الإنسان يعتقد أن قوة الكون كله تكمن فيها وأنها تؤثر على ما حوله، ولذلك يرتديها الإنسان، وهو يخوض في عمليات الصيد أو الرعي لتحافظ على حياته ([2]).

نصل من كل ما سبق إلى أن لبس وحمل التمائم والحروز جزء من المعتقدات والخرافات القديمة، كما أنها مخلفات من الماضي البعيد الذي كانت فيه خبرة الإنسان محدودة، وهي أيضا من صنع العقلية الساذجة التي ورثناها عن آبائنا.

([1]) خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 63.

([2])خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 63.